

في نور محمّد فاطمة الزهراء

والودّ تفيض من ذات قلبها الحنان والرعاية. كما كانت تقاسمهم اللقمة قاسمتهم الغمّة، كفكت عنهم ندى المدامع، نهنت[533]دوافع المواجه، في نفوسهم نفثت الجَلَد[534] والاصطبار، من إيمانها أفاءت الأمن والقرار، حملت من همومهم ما ينوء بالعصبة أولي العزم من الرجال. ومع كلّ وقبة[535] ليل، وطلعة نهار، نزفت قواها البدنية قطرات قطرات، هاجمها من الوهن في ثلاث سنين ما يملأ ثلاثين، طحنها رحي الشدائد فإذا هي نفاية أدواء، وكهولة عياء، وهي التي لم تكن قطّ قبل البعثة النبوية في كبد، بل عاشت بالرغد في قوّة وأيد، وبالرفاهية في صحّة وعافية، لكنّ الحياة عبست، وكشفت عن ناب كاشر تضطرب على سنّه المنون. فلولا أَجَل مسمّى عند الله وبقية أنفاس، لأوغلت بها أوقارها، تلکم الثقلة الوبيلة، بعيداً بعيداً عن دنيا الناس إلى النهاية المحتومة، وإنّها لعلی غیر فراشها، وبغير دارها القائمة عند بيت ربّها الحرام. أمّا الزهور الصغيرة فكانت أقلّ امتناعاً على لاواء الحصار، إنّها في باكورة مراحل النماء، والنماء بناء، والبناء عصبه الغذاء. فإذا أعوز الجسد الهشيش ما يغذوه، أصبح كنثير[536] هشيم، عدم القوة، فلا استمسك ولا استقام، فتي بلا فتوّة، وشبّ بلا شباب. وعندما يضع من النفس طريق الأمان، ويحاصرهما الحرمان، فإنّها تعيش الكآبة، وتحیی الوجوم. ومن وراء الآلام النفسية، والضعف البدني، برزت لنا الزهراء في مستهلّ مسيرتها إلى صباها المبكّر، بعُود عادل ولكنّه أقرب إلى ذابل، وبوجه قسيم ولكنّه أدنى إلى